ظاهرة المهمل في معاجم اللغة

د/ عمر فارس الكفاوين
جامعة فيلادلفيا (المملكة الهاشمية الأردنية)

الملخص:

ترمي هذه الدراسة إلى استجلاء ظاهرة الألفاظ والأبنية المهملة في كلام العرب من خلال تتبعها في معاجم اللغة، وسترصد دلالة كلمة (المهمل) ومفهومها عند العرب، ثم ستنطلق إلى تبيان أضرب المهمل وأنواعه كما حددها أهل اللغة وعلماؤها في كتبهم ومعاجمهم، ثم ستحدد أسباب الإهمال ومبرارته، وتوضيح مناهج أصحاب المعاجم في إهمالهم بعض الأبنية والألفاظ .

Abstract

This study aimed to elucidate the phenomenon of words and buildings neglected in the language of the Arabs through followed in language dictionaries, and will monitor the connotation of the word (negligent) and concept of the Arabs, and then will start to show on strike neglected and types as defined by the people of the language and its scientists in their books and Glossaries, and then determine the causes of neglect and Justifications and clarify dictionaries owners neglect curricula in some buildings and words.

المقدمة:

تعد ظاهرة الألفاظ المهملة من الظواهر المهمة في اللغة، حيث برزت بشكل جلي في المعاجم اللغوية لا سيما معجما العين وجمهرة اللغة، وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على تلك الظاهرة، فما المقصود بالمهمل؟ وما هي أضربه وأنواعه؟ وما أسباب الإهمال في اللغة، وما الأسس التي اعتمدها اللغويون في إهمالهم بعض الألفاظ؟ وما مناهجهم في ذلك؟ .

وللإجابة على كل هذه الأسئلة كان لا بدّ من البحث في أهم معاجم اللغة وكتبها القديمة، ربما يفيد هذا البحث في تعليل أسباب الإهمال، وإظهاره كي يكون واضح المعالم أمام المهتمين، وستسعى الدراسة إلى البحث في هذه الظاهرة من خلال تحقيق الأهداف التالية : التعريف بالمهمل وبيان أهمية الإشارة إليه في اللغة، ومعرفة أضربه وأسباب إهماله، وتسليط الضوء على أبرز المعاجم التي أشارت إليه .

وقد وردت ظاهرة المهمل في بعض الكتب القديمة، مثل : كتاب الصاحبي لابن فارس، والمزهر للسيوطي، والخصائص لابن جني وغيرها، أما المعاجم التي تتبعت المهمل فهي كثيرة منها : العين للخليل بن أحمد، وجمهرة اللغة لابن دريد، وتاج العروس للزبيدي، وتهذيب اللغة للأزهري، أما الدراسات الحديثة، فقد عثرت على دراسة واحدة للدكتور سمير أحمد عبدالجواد، تحت عنوان (الإهمال : دراسة تفصيلية نحوية)، وهي لا تعالج ظاهرة المهمل في اللغة كما وردت في المعاجم، أي إهمال بعض الأبنية وعدم استعمالها في كلام العرب، إنما موضوعها متعلق بالعامل النحوي، من حيث العمل والإهمال، إذ تدرس ما يعمل نحوياً عند قوم ويهمل عند آخرين، كالمصدر وصيغ المبالغة وغير ذلك .

وانتظمت الدراسة في مقدمة تليها عدة مطلوبات، تتمحور حول ظاهرة المهمل وأضربه وأسباب الإهمال ومناهج أصحاب المعاجم فيه، ثم خاتمة تتضمن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة . وقد اتكأت على المنهج الوصفي التحليلي، وكان النص اللغوي القديم هو محل التأمل ومنبع إصدار الأحكام والآراء .

دلالة كلمة (المهمل): المهمل من الأصل (همل)، والهمل : السدى (وما ترك الله الناس هملا) أي : سدى بلا ثواب وبلا عقاب، وإبل هوامل : مسيبة لا ترعى، وأمر مهمل : متروك [1] . والمهمل فـي الكلام : خلاف المستعمل [2] .

والمهمل هو الذي أهمله العرب في كلامهم وتركوه لقلة فائدته وشيوعه، يقول ابن فارس: "الكلام على ضربين مهمل ومستعمل، قال: فالمهمل هو الذي لم يوضع للفائدة، والمستعمل: مـــــا وضع ليفيد"[3] .

أما الفرق بين المهمل والمستعمل فيكمن في استقبال المتلقي لهذا اللفظ أو ذاك، فإن فهم المراد منه كان مستعملاً، وإن لم يفهمه كان مهملاً، جاء في كتاب (الأزمنة والأمكنة) للمرزوقي قوله: "فإن قيل: فما الفرق بين المهمل والمستعمل؟ حينئذٍ قلت: الفرق بينهما أن الحكيم متى تكلم بكلام مستعمل صح أن يعرف السامع لكلامه مراده بما يقارنه من الدليل غير الكلام، ومتى تكلم بكلام مهمل لم يجز أن يعلم مراده، وإن قارنه ما قارنه وكان وجوده وعدمه بمنزلة، ولو كان الكلام دليلاً يجوز الاستطراق منه إلى ما وضع له قبلها، لأن الدلالة لا تحتاج في كونها دلالة يجوز الاستطراق منها إلى مدلولها إلى المواضعة، وإنما يحتاج في تسميتها دلالة إلى المواضعة، لأنهم يسمونها دلالة إذا أراد فاعلها عند فعلها الاستطراق منها إليه، ولذلك لا يجوز أن يسمى فعل

اللص دلالة عليه، وكذلك فعل البهيمة وإن جاز الاستطراق منها إليه، ولهذا جاز أن يعرف الله بدلائله من لا يعرف شيئاً من المواصفات"[4] .

إذن فالكلام الذي تُفهم دلالته يكون مستعملاً، والذي لا تفهم دلالته يكون مهملاً ويجب تركه والابتعاد عنه، لأنه لا يبلغ القصد ولا يفهم السامع، يقول أحد الشعراء : [5]

وكفى المهمل أن لا يشتفي من بلوغ القصد أو دفع البلاء

ومهما يكن من أمر فيجب على الناثر أو الناظم أو المتكلم أن يبتعد عن الألفاظ المهملة، التي لا يُفهم مدلولها، وتكون ثقيلة على اللسان أو مخالفة لشروط العربية، لذا فإن الشعراء كانوا يبتعدون عن اللفظ المهمل، فالمعري مثلاً عندما أراد أن يصف شيئاً من خلال الشعر قال: "وقد عزمت أن أنظم هذه الصفة في بيتين من الشعر، ابتعد بهما عن اللفظ المهمل فيكون أسرع إلى حفظ المرسل ..."[6] .فمن يريد أن يصنع كلاماً وجب عليه الابتعاد عن الأبنية والألفاظ المهملة، يقول ابن دريد: "إذا أردت أن تؤلف بناء ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة، ثم أدر دائرة فوقع ثلاثة أحرف حوالها ثم فكها من عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة فتخرج من الثلاثي ستة أبنية ثلاثية وتسعة أبنية ثنائية _ وهذه الصورة _ :

فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به وما رغبوا عنه ... " [7] .

لقد بين ابن دريد للكتاب النهج والطريقة التي يجب أن يختاروا فيها أبنيتهم ويصوغوها، لكي يتوخوا الحيطة في اختيار المستعمل منها الذي استعمله العرب، والابتعاد عما أهمله العرب ورغبوا عنه .

أضرب المهمل: كثرت الأبنية المهملة في كلام العرب حتى أنه لا يمكن لأي باحث استقصاؤها والوصول إلى جميع الكلمات والألفاظ المهملة، وقد جعل العرب المهمل على ثلاثة أنواع تندرج تحتها معظم الأبنية المهملة:

1/ ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة، وذلك كجيم تؤلف مع كاف، أو كاف تقدم على جيم، وكعين مع غين أو حاء مع هاء أو غين، فهذا أو ما أشبهه لا يأتلف[8] . وبهذا فإن بعض الحروف لا تأتلف في كلمة واحدة، إلا إذا كان بينها حواجز، فإن اجتمعت دون تلك الحواجز غدت مهملة، يقول ابن دريد: "أما حروف أقصى الفم من أسفل اللسان فهن القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين، فلذلك لم تأتلف الكاف والقاف في كلمة واحدة إلا بحواجز، ليس في كلامهم (قك) ولا (كق)، وكذلك حالهما مع الجيم ليس في كلامهم (جك) ولا (كج)، إلا أنها قد دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عكدة اللسان، بل هي مجاوزة للعكدة إلى الفم"[9].

2/ ما يجوز تآلف حروفه لكن العرب لم تقل عليه، وذلك كإرادة مريد أن يقول (عضخ)، فهذا يجوز تآلفه وليس بالنافر، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة (خضع)، لكن العرب لم تقل (عضخ)[10]. وقد أورد أصحاب المعاجم أمثال الخليل وابن دريد والجوهري والأزهري وغيرهم أمثلة كثيرة على هذا النوع، وأشار بعضهم أن اللفظ استعمله قوم وأهمله آخرون، ومن أمثلة ذلك: "(طبش)، يقول صاحب تاج العروس: أهمله الجوهري في الصحاح، وقال صاحب اللسان والصاغاني عن ابن دريد: وهم الناس كالطمش، بالميم لغة فيه، يقال: ما في الطبش مثله، ويقال أيضاً: ما أدري أي الطبش هو"[11].

3/ وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذلق والإطباق حرف [12]، وحروف الذلق: الفاء والميم والباء والراء والنون واللام، أما حروف الإطباق فهي: الضاد والطاء والظاء. يقول السيوطي: "فإذا جاءك بناء خماسي يخالف ما رسمته لك مثل: دعشق، وضعنج، وعفجش... فإنه ليس من كلام العرب فأردده، فإن قوماً يفتعلون هذه الأسماء بالحروف المصمتة ولا يمزجونها بحروف الذلاقة فلا نقبل ذلك ..."[13].

وإذا جاء بناء في اللغة على هذه الأبنية المهملة فإنه لا يعد كلاماً، يقول ابن فارس: "وأي هذه الثلاثة _ يعني أضرب المهمل السالفة الذكر _ كان فإنه لا يجوز أن يسمى كلاماً لما ذكرناه من أنه وإن كان مسموعاً مؤلفاً فهو غير مفيد، وأهل اللغة لم يذكروا المهمل في أقسام الكلام، وإنما ذكروه في الأبنية المهملة التي لم تقل عليها العرب"[14]. إذن فالمهمل ليس كلاماً كما يزعم البعض، فالكلام ما أفاد وما استعمل، أما المهمل فهو ما لا يفيد [15]، والعرب حددت الأبنية المهملة، وقالت إن أحسنها ما تباعدت حروفه، وسنفصل في هذا لاحقاً.

أما الحروف المهملة والمستعملة فيقول السيوطي: "واعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الحاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم، فأخف هذه الحروف كلها ما استعمله العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد لاختلاف المعنى"[16]. والمتأمل في النص السابق يدرك أن الحروف المستعملة قلية العدد إذا ما قورنت بالمهملة، إلا أن العرب لا تقسم على أساس الحروف، وإنما على أساس الأبنية إلى مهمل ومستعمل .

أسباب الإهمال: يقع الإهمال في الأبنية التي يصعب النطق بها وتكون ثقيلة على اللسان، ويرجع ذلك كله إلى مخارج الحروف، ذلك أنها المحور الرئيس في ثقل الكلمة ونطقها أو خفتها، وبالتالي استعمالها أو إهمالها، وقد جعل علماء اللغة للإهمال كثيراً من الأسباب، يمكن إجمالها بما يأتي:

1/ ما رفض استعماله لتقارب حروفه، يقول الخفاجي: "يقع الإهمال في الأبنية التي يصعب النطق بها لضرب من التقارب في الحروف، فلا يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم وثقله، وقد روي أن الخليل بن أحمد قال : سمعنا كلمة شنعاء هي (الهعخع) وأنكرنا تأليفها، وقيل إن أعرابياً سئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع، فلما كشف عن ذلك وسئل الثقات من العلماء عنه أنكروه ودفعوه، وقالوا : نعرف الخعخع، وهذا أقرب إلى تأليفهم، لأن الذي فيه حرفان حسب وحروف الحلق خاصة مما قل تأليفهم لها من غير فصل يقع بينهما، كل ذلك اعتماداً للخفة للثقل في النطق ..."[17].

وفي الحقيقة أن الحروف إذا تقاربت ثقلت على اللسان، لذا فقد عد العرب الكلمة ذات الحروف المتقاربة المخارج مهملة، "واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرساً واحداً أو حركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها، نحو قولهم في (ام والله) هم والله، وكما قالوا في (اراق) هراق الماء، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء، وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف"[18] .

ويرى ابن جني أن التأليف ثلاثة أضرب، منها ما ألف على حروف متقاربة، وهذا إما يهمل أو يقل استعماله، يقول: "أما إهمال ما أهمل، مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به، ومقفاة على إثره، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه ..."[19].

ويضرب علماء اللغة عدداً من الأمثلة على المهمل من الكلام لتقارب حروفه منها: سص، صص، تط، ضس. ويقولون: "إنها مهملة ومتروكة لنفور الحس عنها، والمشقة على النفس لتكلفه"[20]، ومنها أيضاً: "قج، جق، كق، قك، كج، جك. وكذلك حروف الحلق فهي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف، أي حروف الفم، وإن جُمع بين اثنين منها يقدم الأقوى على الأضعف، نحو: أهل، أحد، أخ، عهد. وكذلك متى تقارب الحرفان لم يُجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما نحو: أرل، ووتد، ووطد. يدل على أن الراء أقوى من اللام وأن القطع عليها أقوى من القطع على اللام، وكأن ضعف اللام إنما أتاها لما تشربه من الغنة عند الوقوف عليها، ولذلك لا تكاد تعتاص اللام، وقد ترى إلى كثرة اللثغة في الكلام بالراء وكذلك الطاء والتاء هما أقوى من الدال، وذاك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال"[21].

ولا يأتي في كلام العرب ثلاثة حروف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك عليهم، لأنهم يستثقلون هذا، وأصعب ذلك أن يأتي ثلاثة أحرف من حروف الحلق، يقول ابن دريد: "واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك عليهم، وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل: أحد، وأهل، وعهد ..."[22].

ويؤكد الخليل بن أحمد أن العرب تنفر من الكلمة ذات الحروف المتقاربة المخارج، والتي هي من جنس واحد، يقول مؤكداً على تشابه الحروف وتقاربها: "لولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء لولا هتة في الهاء، قال مرة (ههة) لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض " [23].

ولذلك لم تألفا (الهاء والحاء) في كلمة واحدة وكذلك الهاء، ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة، نحو قولهم (حيّ هل) وكقول الآخر (هيهاؤه) و(حيّهلة)، فحيّ كلمة معناها هلّم وهلا حثياً، وفي الحديث (فحيّ هلا بعمر) [24].

ومهما يكن من أمر فإن العرب تنفر من الأبنية المتقاربة المخارج في حروفها؛ لذا فإنهم يسعون دائماً للأبنية ذات الحروف المتباعدة المخارج، يقول ابن دريد: "إن أحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة، ألا ترى أنك لا تجد بناء رباعياً مصمت الحروف لا مزاج له من حروف الذلاقة إلا بناء يجعل بالسين وهو قليل جداً مثل (عسجد)، وذلك أن السين لينة وجرسها من جوهر الغنة فلذلك جاءت في هذا البناء"[25].

2/ أما السبب الثاني لإهمال بعض الأبنية فهو أن العرب استعملوا الأصل في بعض التراكيب ورفضوا غيره، يقول ابن جني: "وأما ما رفض أن يستعمل وليس فيه إلا ما استعمل من أصله ... ذلك أن الأصول ثلاثة: ثلاثي، ورباعي، وخماسي، فأكثرها استعمالاً وأعدلها تركيباً الثلاثي..."[26].

إذن فالعرب تستعمل الأصول الثلاثية أكثر من غيرها، ويعلل ابن جني ذلك بقوله: "وذلك لأنه حرف يُبتدأ به وحرف يُحشى به، وحرف يوقف عليه، وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه فحسب، ولو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه اعتدالاً لأنه أقل حروفاً وليس الأمر كذلك"[27].

وفي الحقيقة أن الأبنية الثلاثية هي الأكثر شيوعاً في الكلام، أما الثنائية فإنها قليلة، "ألا ترى أن ما جاء من ذوات الحرفين جزء لا قدر له فيما جاء من ذوات الثلاثة وأقل منه ما جاء على حرف واحد"[28]، أما الأبنية الرباعية فهي مستثقلة عند العرب وغير متمكنة مثل الثلاثية، ذلك أن الثلاثي أخف من الثنائي لقلة حروفه، وبالتالي أخف من الرباعي لكثرة حروفه .

أما الخماسي فثقيل وطويل، لذا فإن العرب تبتعد عنه وتهمله في كثير من كلامها، ونحن نرى أن الثلاثي يتركب منه ستة أصول والرباعي أربعة وعشرين أصلاً، وذلك أنك تضرب الأربعة في التراكيب التي خرجت عن الثلاثي وهي ستة فيكون ذلك أربعة وعشرين تركيباً والمستعمل منها قليل، ومثال ذلك: عثرب، برقع، عرقب، عبقر. ولو جاء منه غير هذه الأحرف فعسى أن يكون ذلك والباقي مهمل كلـــــه[29].

لقد أهملت العرب كثيراً من الثنائي والرباعي والخماسي، وأكثرت من استعمال الثلاثي، ويكمن سبب ذلك في أن الثنائي قليل الحروف، أما الرباعي والخماسي فكثيرا الحروف ثقيلان على اللسان مرهقان للنفس .

3/ وهناك بعض الكلمات والأبنية قد رفضها العرب وتركوها لأسباب غير التي سبقت، فقد تكون هذه الكلمات غير عربية أو ثقيلة على اللسان أو مستهجنة أو ليست معروفة، والأمثلة عليها كثيرة، ومن ذلك قولهم: "كان أبو عمر بن العلاء يقول: (مَضَّني) كلام قديم قد تُرك، قال ابن دريد: وكأنه أراد أن أمضَّني هو المستعمل"[30]، وكذلك قول ابن دريد في الجمهرة: "خوّان يوم من أيام الأسبوع من اللغة الأولى وخَوّان وخُوّان شهر من شهور السنة العربية الأولى"[31]، فهذه لغة قديمة تُركت وأهملها العرب. وفي الصحاح للجوهري: جفأت القدر: كفأتها وصببت ما فيها، ولا تقل أجفأتها، وأما الحديث الذي فيه فأجفئوا قدورهم بما فيها فهي لغة مجهولة، فهذا يحتمل أن يكون من أمثلة المتروك، ويحتمل أن يكون من أمثلة المنكر[32]. وفي الصحاح أيضاً: المهندز: الذي

يقدر مجاري القنى والأبنية، وصيروا زايه سيناً فقالوا: مهندس لأنه ليس في كلام العرب زاي قبلها دال [33].

ويرى صاحب جمهرة اللغة أن كلمة (كيكي) مهملة، فيقول: "زعم بعض أهل اللغة أن البيضة تسمى كيكية ولا أعرف غيره"[34]، فهذه الكلمة مهملة ولم ترد إلا قليلاً كما يقول ابن دريد . وأحياناً نجد الكلمة نفسها تهمل وتستعمل باختلاف حركاتها، فقد ورد في (خزانة الأدب) للبغدادي قوله: "المرخي: الذي يرخي في سيره قليلاً قليلاً، لا يكلف أكثر من ذلك، ويروى: المرخي بكسر الخاء، والإرخاء: لين في العدو، ويروى بفتح الخاء وهو المهمل"[35].

لم يأت الإهمال في اللغة اعتباطاً، بل له أسباب وموجبات معينة ومحددة، هي التي جعلت العرب تهمل لفظاً أو بناء وتستعمل آخر، وسنفصل في الصفحات القادة مناهج أصحاب المعاجم في الاستعمال والإهمال.

مناهج أصحاب المعاجم في الإهمال: إن المتتبع لمعاجم اللغة لا يستطيع أن يحصي جميع الألفاظ المهملة التي وردت فيها؛ ذلك أنها كثيرة لا يمكن إحصاؤها، فأصحاب تلك المعاجم كانوا يشيرون إلى المستعمل والمهمل أثناء تفسيرهم الكلمات والأبنية والحروف، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد في كتابه (العين)، وابن دريد في كتابه (جمهرة اللغة)، والجوهري في (الصحاح)، والزبيدي في (تاج العروس)، والأزهري في (تهذيب اللغة) وغيرهم .

أما الخليل بن أحمد فقد أشار إلى المستعمل والمهمل في أبنية الثنائي والثلاثي، أما الرباعي والخماسي فأغفل الإشارة إلى المهمل منهما لأنه فوق الحصر، وقد ابتكر منهجاً غريباً في ذلك، يقوم على نظام التقاليب (تقاليب الحروف)، حيث يذكر الكلمة ويقلبها إلى كل وجه، بحيث يتألف من تقاليبها كلمات، ثم يذكرها جميعاً في موضع واحد، ثم ينبه إلى ما لم يستعمله العرب منها، فإذا جاء إلى موضع ذكر هذه الكلمات أهمل ذكرها ولم ينبه إلى موضع الباب الذي ذكرها فيه، ومثال ذلك: (الضرم)، استخرج من متقلبات حروفها (ضمر، مرض، مضر، رضم، رمض)، فإذا فتحت باب الراء والميم لم تجد (الرضم والرمض والمرض والمضر) لأنه ذكرها في كتاب الضاد .

وكانت هذه التقاليب أمراً نظرياً خالصاً، إذ لم تستعمل اللغة منها خاصة في الأبنية الرباعية والخماسية إلا أقلها، ونجد الخليل يشير في عنوان كل فصل من الأبنية الثنائية والثلاثية إلى المستعمل والمهمل منها، أما فيما عدا ذلك فقد اكتفى بإيراد المستعمل ولم ينص على المهمل لأنه شيء كثير [36].

ويشير الخليل إلى تقاليب كل بناء وعددها وكيفية الوصول إليها، ويضرب لها الأمثلة، ويقول إن هذه التقاليب لم تستعمل كلها في اللغة وخاصة في الخماسي، إذ (يستعمل أقله، ويلغى أكثره)، وقد فرق بين الصنفين بتسمية الموجود في اللغة (مستعملاً) وغير الموجود (مهملاً) [37].

والخليل ــ كما قلنا ــ يشير إلى المستعمل فقط، فبعد أن يذكر تقاليب البناء وأوجهه يقول: وهذا مستعمل فقط أو مستعملات، ومن الأمثلة على ذلك :

" باب السين والطاء/ طس : مستعمل فقط " [38].

" باب العين والراء والميم/ عرم، عمر، رعم، معر، رمع، مرع : هذه مستعملات " [39].

وأحياناً كان يشير إلى المهمل، ومثال ذلك قوله في باب العين والهاء والقاف: "عهق، هقع: مستعملان . وعقه، قعه : مهملان"[40].

أما معجم (جمهرة اللغة) لابن دريد فإنه يعتمد أيضاً على تقاليب الحروف، فيقلب البناء وفق جميع تقاليبه، فيذكر المهمل منها والمستعمل، وأحياناً يشير إلى أن هذا البناء مهمل، ويستثني ما استعمل منه في حالة أو أكثر، ومثال ذلك قوله في (ذاد): "أهملت إلا في قولهم ذاد يذود ذوداً وذياداً"[41]، وأحياناً يذكر الأصل ويشير إلى ما استعمل منه، ولا يذكر ما أهمل لأنه كثير، ومثال ذلك: "(تحد): استعمل من وجوهها (الحتد) وهو المقام بالمكان، حتد يحتد حتداً، وهو لغة مرغوب عنها والمحتد الأصل، فلان من محتد صدق"[42]. وقوله في (رفء): "استعمل منها (الريف) وهو ما قارب الماء من أرض العرب، الجمع أرياف وريوف"[43].

والمتتبع لكتاب ابن دريد يجد أنه كثيراً ما كان يذكر الأصل، ولا يذكر تقلباته، ويكتفي بذكر كلمة (أهملت) فقط، مما يدل على أن هذا الأصل لم يستعمل لا هو ولا تقلباته في كلام العرب، ومن أمثلة ذلك :

" د ض و : أهملت " [44].

" خ ه ه : أهملت " [45].

" ب ث م : أهملت " [46].

" ب د ص : أهملت " [47].

والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها، وقد التفت ابن دريد أيضاً إلى الأبنية التي تتكرر فيها الحروف، وقال إن أغلبها مهمل، وساق أمثلة كثيرة على ذلك، منها: " ذ ز ذ ز : أهملت " [48]، " د ص د ص: أهملت "[49]، " ز ن ز ن : أهملت "[50].

وفي معجم (تهذيب اللغة) يتبع الأزهري نهج الخليل وابن دريد من حيث اعتماده على نظام تقاليب الحروف، ذلك أنه يذكر تقاليب الحروف للأصل الواحد، من خلال ذكره للكلمة وتقليبها على كل وجه، إذ تتألف من مقلوباتها كلمات، فتُذكر جميع تلك الكلمات في موضع واحد، ثم يشير إلى المستعمل ويغفل المهمل، ومن ذلك قوله في باب العين والدال مع الفاء: "عدف، عفد، فدع، دفع (مستعملة)"[51]، وقوله في باب الخاء والنون: "خن، نخ (مستعملان)"[52] .

ثم يتتبع المعاجم التي أهملتها ويذكر معانيها، كأن يقول في أصل ما : أهمله فلان وأورده فلان، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

1- **فحق**: أهمله الليث، وحكي عن الفراء أنه قال: العرب تقول: فلان يتفيحق في كلامه ويتفيهق إذا توسع فيه، وقال أبو عمرو: طريق منفحق: واسع[53].

2- **غنص**: أهمله الليث، وقال أبو مالك عمرو بن كركرة: الغنص ضيق الصدر، يقال: غنص بـــه صدره غنوصاً [54].

3- **صعن**: أهمله الليث، وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: أصعن الرجل إذا صغر رأسه [55].

4- **سدع**: أهمله الثقات، وقال الليث: رجل مسدع: ماضٍ لوجهه، نحو الدليل المسدع الهادي، وقال ابن دريد: السدع صدع الشيء الشيء وهو لغة يمانية، قلت: ولم أجد لما قال الليث وابن دريد شاهداً فـــي كلام العـــرب[56].

ويسير صاحب (تاج العروس) على نهج الأزهري، حيث يذكر الأصل ثم يتبعه بذكر أسماء من أهمله، ثم يذكر معناه وورود في كلام العرب والمعاجم الأخرى، ومن النماذج الدالة على ذلك:

1/ **دأد**: دأدد الرجل أهمله الجوهري، وقال الليث: إذا أرادوا اشتقاق الفعل (ددد) لم ينعد لكثرة الدالات فيفصلون بين حرفي الصدر بهمزة فيقولون: دأدد يدأدد دأددة لها ولعب، قال: وأنما اختاروا الهمزة لأنها أقوى الحروف[57].

2/ **رأبل**: الرأبلة أهمله الجوهري والصاغاني، وفي المحكم: هو أن يمشي متكنفاً في جانبه[58].

3/ **زأت**: أهمله الجوهري وصاحب اللسان، وقال الصاغاني: زأته علي غيظاً كمنعه مثل زكته أي ملأه[59].

4/ **فأق**: أهمله الجوهري والصاغاني، وفي اللسان هي بالهمز: اسم للريح التي تخرج مـــن المعدة[60].

والمتتبع لهذين المعجمين يجد فيهما عدداً لا يحصى من هذه النماذج، فقد نهج صاحباهما نهجاً يقوم على أساس تتبع الكلمات وأصولها في المعاجم الأخرى، ليصلا إلى من أهملها ومن استعملها، لذا فإن هذين المعجمين يختلفان عن معجمي الخليل وابن دريد من حيث إنهما لا يكتفيان بذكر تقاليب الحروف في الكلمة فحسب، إنما يذكران أسماء من أهمل الكلمة من أهل اللغة ومن استعملها وماذا قال عنها .

لقد تعددت مناهج أصحاب المعاجم في تتبع المهمل في كلام العرب والإشارة إليه، وكان الأساس لهذا الإهمال تتبع تقاليب الحروف للكلمات والأصول، وقد أسس لذلك الخليل بن أحمد، وتبعه ابن دريد، ثم جاءت المعاجم الأخرى لتنوه إلى المهمل والمستعمل في كلام العرب كما قال عنه أهل اللغة وأصحاب المعاجم .

الخاتمة:

تعد ظاهرة المهمل في اللغة من الظواهر المهمة التي نوه إليها أصحاب المعاجم وأهل اللغة، لذا فقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء عليها، وخلصت إلى النتائج الآتية:

أولاً: المهمل من كلام العرب ظاهرة لغوية نوه إليها أصحاب المعاجم وعلماء اللغة.

ثانياً: لجأ معظم أصحاب المعاجم وكتب اللغة إلى ذكر المستعمل وإغفال المهمل لكثرته.

ثالثاً: المهمل في اللغة يأتي على ثلاثة أضرب: ما لا يجوز ائتلاف حروفه، وما يجوز لكن العرب لم تقله، وما كان على خمسة أحرف خالياً من حروف الذلق أو الإطباق.

رابعاً: أهمل العرب في كلامهم كل لفظ تقاربت حروبه، واجتمعت فيه ثلاثة حروف من جنس واحد لثقله على اللسان وإرهاقه للذوق والحس.

خامساً: تتبع بعض أصحاب المعاجم المهمل والمستعمل متبعين نهجاً أساسه نظام تقاليب الحروف للأصل الواحد، مشيرين إلى ما استعمل منها وما أهمل، وبعضهم أشار إلى من أهمله من أهل اللغة ومن استعمله .

هوامش البحث:

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت175هـ/791م)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج4، ص56 .

(2) ابن منظور، جمال الدين بن مكرم الإفريقي (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج11، ص112، مادة (همل) .

(3) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ/1004م)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م، ص81 .

(4) المرزوقي، أبو علي أحمد بن الحسن الأصفهاني (ت421هـ/1030م)، الأزمنة والأمكنة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص232 .

(5) الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت723هـ/1323م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص245 .

(6) المعري، أبو العلاء أحمد التنوخي (ت449هـ/1057م)، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م، ص181 .

(7) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت321هـ/933م)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، ج3، ص513 .

(8) ابن فارس، الصاحبي، ص81 . وانظر : السيوطي، جلال الدين (ت911هـ/1505م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر، بيروت، ج1، ص240 .

(9) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص7 .

(10) ابن فارس، الصاحبي، ص81 . وانظر : السيوطي، المزهر، ج1، ص240 .

(11) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالستار فراج، الكويت، 1965م، ج17، ص241 .

(12) ابن فارس، الصاحبي، ص82 . والسيوطي، المزهر، ج1، ص240 .

(13) السيوطي، المزهر، ج1، ص195 .

(14) ابن فارس، الصاحبي، ص82 .

(15) الحمد، علي توفيق، والزعبي، يوسف جميل، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، الأردن، ص142 .

(16) السيوطي، المزهر، ج1، ص195 .

(17) ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد الحلبي (ت466هـ/1105م)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م، ص168 . وانظر : ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص9.

(18) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص9 .

(19) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ/1001م)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م، ج1، ص55 . وانظر : السيوطي، المزهر، ج1، ص194 .

(20) انظر : ابن جني، الخصائص، ج1، ص55 . والسيوطي، المزهر، ج1، ص241 .

(21) ابن جني، الخصائص، ج1، ص55-56 . وانظر : السيوطي، المزهر، ج1، ص241 .

(22) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص9 .

(23) الفراهيدي، العين، ج1، ص57 .

(24) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص9 .

(25) المصدر السابق، ص11 .

(26) ابن جني، الخصائص، ج1، ص56 . وانظر : السيوطي، المزهر، ج1، ص242 .
(27) المصدر السابق، ج1، ص56 .
(28) ابن جني، الخصائص، ج1، ص56 . وانظر : السيوطي، المزهر، ج1، ص242 .
(29) السيوطي، المزهر، ج1، ص243 .
(30) المصدر السابق، ص218 .
(31) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج2، ص244 .
(32) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ/2002م)، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م، ج1، ص41 .
(33) المصدر السابق، ج3، ص992 .
(34) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج3، ص153 .
(35) البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت1093هـ/1682م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، م6، ص119 .
(36) نصار، حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، 1988م، ج1، ص177 .
(37) المرجع السابق، ص195 .
(38) الفراهيدي، العين، ج7، ص275 .
(39) المصدر السابق، ج2، ص136 .
(40) المصدر السابق، ج1، ص96 .
(41) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج3، ص241 .
(42) المصدر السابق، ج2، ص3 .
(43) المصدر السابق، ج2، ص404 .
(44) المصدر السابق، ج2، ص277 .
(45) المصدر السابق، ج1، ص71 .
(46) المصدر السابق، ج1، 204 .
(47) المصدر السابق، ج1، ص244 .
(48) المصدر السابق، ج1، ص141 .
(49) المصدر السابق، ج1، ص141 .
(50) المصدر السابق، ج1، ص149 .
(51) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هـ/980م)، تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964م، ج2، ص224 .
(52) المصدر السابق، ج7، ص3 .
(53) المصدر السابق، ج9، ص64 .
(54) المصدر السابق، ج6، ص399 .
(55) المصدر السابق، ج3، ص134 .
(56) المصدر السابق، ج2، ص88 .

(57) الزبيدي، تاج العروس، ج8، ص98 .
(58) المصدر السابق، ج27، ص132 .
(59) المصدر السابق، ج4، ص527 .
(60) المصدر السابق، ج26، ص270 .